Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تضحك بكل قواها كمن يضحك من قلب لم يخالطه بعد معنى الكآبة ولم تنزل بساحته وطأة الهموم . وما أشد ما يسرّ السامع بهذه الضحكة المملوءة طيبة وذكاء ولو لا أن خيالات الفكر والكآبة تتمايل على جبهتها السمراء الجميلة لتساءل المرء أهو في حضرة إمرأة ذاقت طعوم اللوعة والألم ؟ ... » .

●

نعم إنها إلتاعت وتألمت . أقول ذلك وان لم أرها يوماً إلا بين مظاهر السعادة والهناء . بل لم أقابلها مرة إلا وهي صبيحة الوجه ، طليقة المحيا ، برّاقة العينين ، والبسمة تلعب على شفتيها . لكنّ هذه كلها ستائر تنسدل على حركات الحياة الحقيقية حاجبة عن النواظر معانيها العميقة . وهل في وسع من ذاق مرارة الفكر وحلاوته أن يكون سعيداً بالمعنى الذي يقصده البشر ؟ وإذا فرضنا أنه حاز السعادة على ذلك القياس المألوف ، أتكفي هذه السعادة الإصطلاحية لحمايته من لهيب الألم النفسي ؟

ولكن لا ننقمنّ على الألم فهو مغذّي الذكاء ومهذّب الشعور ، ومنبّه الادراك إلى معان جمة وأساليب فكريّة كثيرة . إنما صاحب العواطف القوية شقيٌّ إذا ما ذكرنا أنّ هذه العواطف تعذبه في كل حين وتظلُّ هامسةً له بالشكوى حتى في أعذب ما يناله من لحظات السعادة النادرة . لكنّ هذا العذاب بعينه هو ممزّقُ غشاء الجهل والأنانية عن بصر فريسته ، وهو مستنزلُ الوحي على فؤاد نهشته براثنه حتى أدمتهُ . هو مفجّرُ ينابيع النُهى . هو يعطي القلم قوةً تُبدعُ من الكلام سيوفاً وبروقاً ، ويحبو اللسان بلاغةً تمتلك القلب لأنها تخابره مباشرة بلا وسيط . وماذا عسى ينفع الحديثُ إن لم يكن مصدره القلب ؟ وما هي قيمة الإصلاح إن لم يكن ناشئاً عن إدراك تكوّن ليس في العقل وحده بل في العواطف المسحوقة وما تُنبّهُ إليه من أحتياج كثير ؟ ونظرة الكاتب ان لم يطلُّ فيها خيال القلب المتوجع ليست إلّا بالنظرة الباردة القاصرة التي